نسي الماء صورة مستقبلي
وطوى مستهل الكتاب عن الفرس الجامحة
حاطبا عشتي الابدي طعاما
لينابيعه المالحه »

(القاتل الثائر)

ومن خلال هذا التفسير الذي نستخلصه عبر هذه المحاور الثلاثة ، سننظر للديوان بهدف تقويم تجربته (فنيا وموضوعيا) ..

عندما اقرأ عملا شعريا ، فان اول ما افترضه ، للحكم له او عليه ، هو مدى تحقق العالم الذي يتحدث عنه الشاعر ، او يبنيه من خلال شعره ، او يحاول تغييره .. وهو عالم افترضه خصبا بحكم اختياره أساسا لتعامل شعري ، يبني عليه الشاعر رؤياه .. اذ الشعر ، في تكوينه الحقيقي ، ليس الا ضربا من الرؤيا ..

وشعر هذه المجموعة يقوم على « الرؤيا الفلسطينية » ، لكننا نجد الشاعر يعتد هذه الرؤيا في اطار لغوي يمسح الحدود بين الاشياء ، حتى لتبدو متساوية . وفنيا يقوم شعره على تعامل موحد مع كل الاشياء ، وكأن قصائده خطوط تلتقي جميعها عند نقطة واحدة ، او هي تنطلق من هذه النقطة ، لتتشعب امتداداتها . فهو « بموضع » تجربته بحيث يمزج التلقي الخارجي بالاحساس الذاتي .. ولكن هذا « الاحساس » يحجر ما يتلقاه ، لتبقى الاضاءات الداخلية قليلة .. ومن هنا تفتقد القصيدة ما يسمى بـ « التفجر الداخلي » لتجربة كهذه .. لتفرق في تفاصيل كثيرة لا تجعل للقصيدة بؤرة محددة ، ويطغى عليها حشد من الصور .. والصور الذهنية المجردة مما لا طاقة لتكوينها الداخلي به .

هذا ذاته يقود شعر خالد علي مصطفى الى الوقوع في أحابيل كثيرة ..

— فهو في الوقت الذي يبتعد فيه عن « الشعر الهتافي » ، يقع في احبولة « المعاضلة اللفظية » ، والنحت .. ليجعل قصيدته تبدو وكأنها جسم منحوت بدقة تقترب من دقة مهندس ! ، ولكنه لا يضع « الاحجار » في مواضعها ..

لنتأمل هذا « التضمين اللفظي » البارد :

« للناقة الذمول حيزوم سفينة
أغرقها ابن يامين في الدمع .
وجدتها في جبل التوباد
يطردها الحداة شرق النهر حيث تزهر الاوتاد »

(رسالة القاتل الى أهله وذويه) .

— ونتيجة الضياع في متاهات اللفظ المجرد ، تبدو صوره وهي تعاني نفس المعضلة .. لتتبدد — وبسبب من هذا — صورة ذلك العالم الذي كان يطمح ان يقطره في قصيدته . ان تمثله للغة ، بصيغتها التي عرفتها مع اكثر نماذج الشعر العربي سلفية ، لم يكن في صالحه ، او في صالح شعره .. ذلك ان هذا التمثل جاء ، وفي كثير من الاحيان ، تمثلا ناقصا ، لم تتحقق فيه حريته الفنية ، ولم يظهر ابداعه وأصالته .

لنتأمل :

« البحر في خاصرة الثياب ينحني
مقبلا كل مآقي الصخر ، يبتني
من حجرة المياه منزلا ، ويعتني
بالعشب خوف الهاجره . »

(رسالة القاتل الى أهله وذويه)

.. فهل هي اكثر من تراكم صوري ، لفظي ؟

أو :

« أيتها الذاكرة التي سطت على بقايا الماء في الضريح » ..

أو :

« .. أي صوت ورث الاشباح
عن الكهوف خوف ان يختمر الزيتون في الجراح »

أو :

« فاستراح كل جرح
على أخيه ، أشعلا قنينة التاريخ والزمان في المساجلات »

(القصيدة نفسها)

.. ان الدلالة الرمزية ضعيفة في مثل هذه الصور المجردة ، المبنية على استعارة جامدة .. وهي صور جاءت بعين العقل .. مبنية على ادراك حسي .. فلم تبلغ المستوى الذي يمكن ان تكون فيه « تحت امكان الرؤية الكاملة » لتوحي « بالعيني المحسوس دون ان تسقطه بشكل نهائي وتوضحه » (اوستن وارين — نظرية الادب) .

وحتى حين تقترب صوره من جوهر موضوعه ، فانها لا تتجاوز حدود التقريرية :